الهيكل المصطلحي في كتـــــاب
(الوساطة بين المتنبي وخصومه)للقاضي الجرجاني(ت392ه)

أ. ياسين خروبي
جامعة قاصدي مرباح –ورقلة

ملخص:

هذه دراسة تبحث في كتاب أبي الحسن علي عبد العزيز الجرجاني المسمى "الوساطة بين المتنبي وخصومه " وتتناول الدراسة في موضوعها الرئيس أهم المصطلحات النقدية والبلاغية التي اشتمل عليها الكتاب، فقمنا بعملية إحصاء لأغلب المصطلحات النقدية والبلاغية، مع دراستها دراسة وصفية تحليلية، يتبين من خلالها جهود القاضي الجرجاني وفكره النقدي في طرحه لتلك المصطلحات من خلال النصوص المختلفة التي أوردها فيها، و من خلال تتبع نعوت وعيوب هذه المصطلحات ومعرفة اشتقاقاتها وأنواعها ومدى الدقة في تحديد مفهومها، لأن لكل ناقد طاقته العقلية وقدراته الخاصة على الفهم والإدراك.

This is a study looking at the book of Abu al-Hassan Ali Abdul Aziz Jorjani called "mediation between Mutanabi and his opponents," The study deals in it's main theme the most important terms of cash and rhetoric presented in the book co-operation process count for most of the terms of cash and rhetorical, with descriptive analysis and study, it is evident through the efforts of Judge Jorjani and his idea of cash in his presentation of these terms through the various texts which cited in it , and by tracking the attributes and disadvantages of these terms and knowledge of derivations and the types and extent of precision in concept, because every critic of his energy and mental abilities of comprehension and understanding.

تمهيد:

إن المصطلحات في كتاب الوساطة- وهي محور هذه الدراسة- تشكل المفاتيح الأساسية التي يمكن من خلالها التعرف على موقف القاضي من أهم القضايا التي أُختلِف حولها في نقدنا القديم، من خلال ما يوظفه وطريقة توظيفه وتعامله مع كل مصطلح؛ وعلينا تتبع هذا الهيكل المصطلحي المتزامي في ثنايا كتاب الوساطة من أجل الوقوف على المفاهيم العامة لهذه المصطلحات في فكر القاضي الجرجاني.

ولأن القاضي لم يذكر تعريفات أو يحدد معاني أو مفاهيم ما يستعمله من مصطلحات، ذلك أنه لم يكن في كتابه بصدد التعريف بها بل كان يذكرها في سياق تعليقاته على بعض الشواهد الشعرية، أو في محاجاته لخصوم المتنبي، فالواجب علينا استنباط معاني تلك المصطلحات من خلال تتبع أشكال ورودها في نصوص مختلفة؛ من أجل الخروج بمفهومها الحقيقي الذي لم يصرح به القاضي وإن كان متأصلاً في تفكيره وعقله.

وليس يخفي على كل مطلع على كتاب الوساطة اختلاط مسائل النقد بالبلاغة، وهذا الاختلاط بين مسائلهما أمر طبيعي ما دام موضوعهما واحدا وهو النصوص الأدبية كما يقول عبده قلقيلة[1]، فالفصل بين النقد والبلاغة أمر تأباه طبيعة الأشياء من جهة وتاريخ تطور النقد من جهة ثانية.

وقد بلغ عدد ما أحصيناه من المصطلحات النقدية والبلاغية في كتاب الوساطة(57 مصطلحاً) وهي عينة تمثل أهم المصطلحات في الوساطة وليست كلها، فالمصطلحات التي يتضمنها هذا الكتاب أكثر بكثير من هذا، فاكتفينا بهذا العدد مع إعطاء كل مصطلح حقه من التفصيل والتدقيق.

ومجموع مرات تكرار هذه المصطلحات بالإضافة إلى ما تبعها من اشتقاقات ومرادفات في كتاب الوساطة بلغ(**1637 مرة**) وقد كان هناك تباين في عدد مرات تكرار كل مصطلح وما دخل تحته من مشتقات.

ويمكن توزيعها على الشكل التالي:

مرات التكرار	عددالمصطلحات ومشتقاتها	النسبة
من 1إلى 50	890	٪54،4
من 51 إلى 100	485	٪29،6
أكثر من 100	262	٪16

أشهر مصطلحات الوساطة:

أولا: أكثر المصطلحات تكراراً في الوساطة مصطلح" المعنى" مع تنوع الأوصاف والنعوت والعيوب التي أضافها القاضي له، وإن كانت أغلب الدراسات المصطلحية في المدونات النقدية خاصة والأدبية عموماً أهملت إدخال هذا المصطلح في جملة المصطلحات التي تحصيها في أي مدونة سواء كانت حديثة أو قديمة، على اعتبار أن وجود هذا المصطلح تحصيل حاصل ومجبر كل مؤلف على استخدامه، غير أننا وجدنا في تميز القاضي وتفرده في التعامل مع هذا المصطلح سبباً مقنعاً لإيراده، كما أنه المصطلح الوحيد الذي فاق عدد مرات وروده(100مرة) بنسبة(16٪)من مجموع المصطلحات التي أحصيناها؛ وفي تتبعنا لهذا المصطلح وجدنا أن أهم المرادفات التي أرفقها القاضي في ذكره لمصطلح "المعنى" تنوعت بين النعوت والعيوب ويمكن توضيحها كما يلي:

أ-نعوت مصطلح المعنى:

معنى مليح: ورد في تعليقه على بيت أبي الطيب:

وَلَو يَمَّمْتَهُمْ في الحَشْو تَجْدُو لأَعْطَوكَ الَّذي صَلَّوا وصَاموا

يقول القاضي: «وهذا معنى مليح » [2].

معنى بديع: ورد في تعليقه عن أبيات غزل لأبي تمام، فقال عنها القاضي: « فلم يخل بيت منها من معنى بديع و صنعة لطيفة» [3].

معنى شريف: ورد في تعليقه على أبيات لأبي تمام، يقول القاضي: « ثم لم يظفر فيها بمعنى شريف و إنما هو الإفراط والإغراق و المبالغة » [4].

معنى مستوفى: ورد في قوله: « وهذه أفرد أبيات منها أمثال سائرة، ومنها معانٍ مستوفاة» [5].

معنى مخترع: يقول القاضي: « وقد كرر أبو الطيب هذا المعنى فغيره، ولطفه فجاء كالمعنى المخترع» [6].

معنى منفرد: ونجده في تعليقه عن حسن الإخفاء عند المتنبي في قوله:

إنَّكَ منْ مَعْشَر إذَا وَهَبُوا مَا دُونّ أَعْمَارهمْ فَقَدْ بَخلُو

ويعلق عليه قائلا:« فجاء به معنى منفرداً، وهو من باب السماحة بالروح»[7].

معنى لطيف: ورد في تعليقه على بيت أبي الطيب:

وَلذَا اسْمُ أَغْطيَة العُيُون جُفُونُهَا منْ أَنهَا عَمَلَ السُيُوف عَوَاملُ

فيقول: « وإن كان قد تغلغل إلى معنى لطيف أحسن استخراجه لو ساعده اللفظ» [8].

ب-عيوب مصطلح المعنى:

معنى مبتذل: ورد في تعليقه على قول البحتري:

وإذاّ ما تَنَكرتْ لي بلاَدُ أَوْ صَديق فإنَّي بالخيَار[9]

يقول عنه القاضي: « وهو معنى مبتذل بين المتقدمين والمتأخرين» [10].

معنى متداول: ورد في تعليقه على قول المتنبي:

وأسرع مفعول فعلت تغيراً تكلف شيء في طباعك ضده

يقول القاضي: « وهذا معنى متداول، وقد أكثر الناس فيه» [11].

معنى بارد: ورد في تعليقه على قول أبي تمام:

مازَالَ يَهْذي بالْمكارم والنَّدّى حَتى ظَنَنَّا أَنّهُ مَحْمُومُ[12]

يقول القاضي: « فتناول معنى بارداً، وغرضاً فاسداً» [13].

ثانيا: ولأن قضية السرقة قد شغلت الحيز الأكبر من كتاب الوساطة، فمن (385صفحة) تضمنها كتاب الوساطة حاز موضوع السرقات على (179صفحة) أي ما يعادل النصف تقريباً، كان لسرقات المتنبي منها الحصة الأكبر إذ خصص لها القاضي (155صفحة) من مجموع الصفحات التي خصصها للسرقات، وعليه فقد تكرر مصطلح السرقة مع ما تبعه من مشتقات(47 مرة) بنسبة(2،9٪) من مجموع المصطلحات المحصاة، وهي نسبة عالية إذا ما علمنا أن القاضي تكلم عن السرقة باستعمال مصطلحات دالة عنها مثل(القلب-الأخذ-الزيادة-الاحتذاء-النقل...) هذه المصطلحات تكررت في مجموع مرات ورودها مع ما تبعها من مشتقات(206مرات) بنسبة 6،12٪ من مجموع المصطلحات المحصاة، وإن كانت هذه المصطلحات منفردة لم يتعد أي منها في مرات تكراره عتبة (50مرة) باستثناء مصطلح الأخذ(74مرة) بنسب5،4٪.

أ-مصطلح السرقة (السارق- المسروق- المسترق):

السرقة=السرق: تكرر ثماني وثلاثين مرة واعتبره القاضي داءا قديما في الشعر، وهي اعتماد الشاعر على أفكار وألفاظ ومعاني غيره مع محاولة إخفاء ذلك بالنقل والقلب، وتغير المنهج والترتيب، يقول: « السَّرَقُ ـ أيَدَك الله ـ داءُ

قديم، وعيب عتيق، ومازال الشاعر يستعينُ بخاطرِ الآخر، ويستمدُّ من قريحته، ويعتمدُ على معناه ولفظه... ثم تسبب المحدثون إلى إخفائه بالنقل والقلب، وتغير المنهاج والترتيب» [14].

السارق: السارق في الشعر عند القاضي هو من يأخذ ألفاظ ومعاني غيره متعمداً ودون إشارة أو اعتراف بذلك، وقد تكرر ثلاث مرات، منها ما جاء في قوله: «لا يعرف السارق إلا من يفعل فعل عبد الله ابن الزبير بأبيات معن بن أوس» [15].

المسروق: تكرر(أربع مرات) يقول في إحداها: «إلا أني إذا وجدتُ في شعره معاني كثيرة أجدها لغيره حكمت بأن فيها مأخوذاً لا أثبته بعينه، ومسروقاً لا يتميز لي من غيره»(16)

المسترق: تكرر(مرتين) إحداهما في قوله: « فإن كانت مسترقة فجميع البيت مسروق، بل جميع الشعر كذلك» [17].

ب-أنواع السرقة: اجتهد الشعراء في إخفاء سرقاتهم بطرق عدة لخصها القاضي في المصطلحات التالية:

1- مصطلح القلب (المقلوب): قصد بالقلب أن يأخذ الثاني عن الأول معناه فيقلبه إلى نقيضه، وجاء بهذا المعنى ثلاث عشرة مرة من مجموع مرات ورود هذا المصطلح، وعده القاضي الجرجاني من أنواع المناقضة التي لجأ إليها الشعراء المحدثين لإخفاء سرقاتهم يقول: « والسَّرَقُ -أيدك الله - داء قديم، وعيب عتيق...ثم تسبب المحدثون إلى إخفائه بالنقل والقــلب» [18].

1-1-المقلوب: والمقلوب من الشعر هو الذي وقع فيه القلب وقد ورد هذا المصطلح مرة واحدة في تعليقه على قول المتنبي:

أَتَـتْهُ المَنَايَا فِي طَرِيقِ خَـفِـيَّـــةٍ على كُـل سَمْعٍ حَــولَهُ وَعِيَـانِ
وَلَوْ سَلَكتْ طُرْقَ السّلاَح لَـرَدهَا بـطُـولِ يَـمِـينٍ وَاتَّـسَاعِ جَنَـانِ

يقول القاضي: « ومقلوب هذا قول آخر» [19]، ثم يورد قول الشاعر الذي قلب بيت المتنبي:

دَفّعنَا بكَ الأيَـامَ حَتَى إِذَا أَتَـت تُـرِيـدُك لم نَسطِـع لَهَا عَـنكَ مَدْفَعَا

2- **مصطلح الأخذ:** تكرر هذا المصطلح في ستة وخمسين موضعاً من الوساطة، وقصد به إتباع وتقليد من اللاحق إلى السابق: « حكمت بأن السرقة عنها منتفية، والأخذ بالإتباع مستحيل ممتنع» [20].

3-**مصطلح الزيادة:** تكرر هذا المصطلح أربعة وتسعين مرة في الوساطة، وقصد القاضي بالزيادة إفراد الكلام بفضل العناية بإضافة ما يزيد في بلاغته وجزالته، ولم يقصد القاضي بالزيادة، الزيادة الكمية، وإنما عنى كمال المعنى في بديع الصياغة، يقول: « وكان الشعر أحد أقسام منطقها، ومن حقه أن يختص بفضل تهذيب، ويفرد بزيادة عناية...خرج كما تراه فخماً جزلاً قوياً متيناً» [21].

4- **مصطلح النقل(المنقول):**

4-1-النقل: تكرر(47مرة) وقصد به القاضي تفنن الشعراء في السرقة بتحويل معنى البيت إلى معنى آخر ونقله من غرض إلى غرض آخر، قصد إخفاء السرقة، ويمثل له القاضي بما فعله أبو نواس بقول أبي حِرَاش الهُذَلي:

ولم أَدْرِ مَنْ ألقى عليه رِدَاءَه على أنه قَد سُلَّ من ماجدٍ مَحْضِ

فقال-أبو نواس- يصف شَراباً:

ولم أَدْرِ منهم غيرَ ما شهدَت به بشرقيّ ساباط الدّيار البَسَابِس

يعلق القاضي:« فلم يخف موضع الأخذ؛ وإن كان قد نقلَ الغزل إلى الزهد، والمرثية إلـى المنادمة» [22].

4-2-المنقول: ورد هذا المصطلح عشر مرات في الوساطة و جاء بصيغة المؤنث في موضعين من مجموع مرات وروده، والمنقول هو ما يتم نقله من المعاني والألفاظ، ويمثل له القاضي بقول المتنبي:

وَفَوَارِسٍ يُحْيِي الحِمَامُ نُفُوسَهَا فكأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْحَيوَان

يعلق القاضي: « وأنا أرى أن هذا المعنى منقول من قول زهير:

تَرَاهُ إِذَا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كأَنَّكَ تُعْطيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهْ»[23].

5- **مصطلح الاحتذاء(مُحتذ-محتذي):**

5-1-**الاحتذاء:** ورد مصطلح الاحتذاء عشر مرات في الوساطة، أما معناه عند القاضي فهو الإتباع أو التقليد الذي يعتمده بعض الشعراء، مع اختلاف في الطريقة؛ فقد يكون الاحتذاء في اللفظ والمعنى، وقد يكون في تتبع الشاعر

لأسلوب شاعر أخر، وهذا ما يستفاد من المرات التي ورد فيها مصطلح الاحتذاء في كتاب الوساطة بالمعنى الذي ذكرناه آنفاً. ويمثل القاضي للاحتذاء بقول ابن الرومي:

هي الأعيُنُ النُّجلُ التي كنتَ تَشْتَكي مواقعَها في القَـــلب والرأْسُ أَسْوَدُ
فمالكَ تَـأسَى الآنَ لَمَّـا رأيتَـــــــها وقد جَعَلَت تَرمِي سِوَاك وتَعمَـدُ[24]

يعلق القاضي: « فاحتذى عليه أبو الطيب وقلب معناه» [25]، ثم يورد قول أبي الطيب:

متى كُنّ لي أنَّ البياضَ خِضَابُ فيَخفَى بِتَبييضِ القُرُون شَبَـابُ
فكيفَ أَذم اليومَ ما كنتُ أَشتَهِي وأَدعُو بما كنت أَشكُوهُ حينَ أُجَابُ

ويعلق بقوله:«وقد كان الاحتذاء في المعنى، وإن تغير تركيب الكلام نتيجةً للقلب» [26].

5-2-**محتذ:** ورد هذا المصطلح مرة واحدة يتيمة في الوساطة، ومحتذ من الاحتذاء، ويحمل معناه يقول القاضي: « ومثل المصرع الأول لأبي الطيب وهو محتذ قول البحتري:

متى ما أسير في البلاد ركائبي أجد سائقي يهوى إليك وقائدي » [27].

5-3-محتذي: ورد هذا المصطلح مرة واحدة وكانت نكرة في الوساطة، وقصد به الجرجاني من يقوم بالاحتذاء بغيره من الشعراء فهو عنده محتذياً أو مقلداً متبعاً، كما في كلامه عن السرقات الشعرية إذ يقول: « فصار المعتدي مختلساً سارقاً، والمشارك له محتذياً تابعاً» [28].

ثالثا: ولأن مؤلف الوساطة قاض فقيه فإن المصطلحات المتداولة في القضاء وبين أطراف المنازعة كان لها حصة كبيرة من المصطلحات الواردة في الوساطة، وهي مصطلحات استخدمها القاضي استخداما نقديا لفض النزاع بين طرفي المحاكمة القائمة بين-المتنبي وخصومه- وقد وجدنا أن أغلب هذه المصطلحات وما تبعها من مشتقات فاق عدد مرات ورودها عتبة (50مرة). فنجد الاحتجاج وما تبعه تكرر(71مرة) بنسبة 4،3٪من مجموع المصطلحات المحصاة، ومصطلح التفضيل وما تبعه تكرر (74مرة) بنسبة5،4٪، بالإضافة إلى مصطلح الوساطة ومصطلح الاستشهاد اللذين لم يتعديا عتبة(50مرة)

وهذه المصطلحات مجتمعة بلغ عدد مرات تكرارها مع مشتقاتها (192مرة) بنسبة7،11٪ من مجموع المصطلحات المحصاة.

أ-مصطلح الاحتجاج(الحجة-المحتج-المحاجة):

1-الاحتجاج: تكرر هذا المصطلح في ثلاثة عشر موضعاً من الوساطة، وقصد به القاضي الجرجاني ما يستخدمه أحد طرفي الخصومة من إثباتات أو أدلة شعرية أو نثرية للرد على الطرف الأخر، كما فعل من يعتبرون شعراء الجاهلية القدوة والأعلام والحجة ولهذا « ذهبت الخواطر في الذبِّ عنهم كل مذهب، وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام» [29].

2-**الحجة:** تكرر هذا المصطلح في ثلاثة وعشرين موضعاً من الوساطة(منكراً ومعرفاً) وقصد به القاضي الدليل والبرهان، يقول: « وهو باب يضيق مجال الحجة فيه، يصعب وصول البرهان إليه» [30].

3-**المحتج:** تكرر هذا المصطلح في ستة وعشرين موضعاً من الوساطةً وكان أغلبها في الجزء الأخير، والمحتج عند القاضي جاء على صنفين يختلف معناه فيهما باختلاف موقفهما من المتنبي:

أ-المحتج وقصد به المدافع عن أبي الطيب، كما في قوله: « فقال لهم المحتج عن أبي الطيب: لعمري إن وجه الكلام ما ذكرتم، ولكن ضرورة الشعر تجيز حذف النون مع الألف واللام »[31].

ب-المحتج وقصد به الخصم المتهجم والطاعن في شعرية أبي الطيب. وتقمص هذا الدور خصوم المتنبي، فقد«زعم بعض المحتجين عنه أن العرب تحمل الكلام على المعنى فتصرف الضمير عن وجهه» [32].

4-**المحاجة:** تكرر هذا المصطلح خمس مرات في الوساطة، و قصد القاضي بالمحاجة المعارضة بإيراد الحجة التي تعارض حجة الطرف الآخر، يقول: « ومن القسم الذي لا حظ فيه للمحاجة، ولا طريق له إلى المحاكمة» [33].

ب-مصطلح التفضيل(التفاضل- الفضائل-الأفاضل-الفضل):

1-التفضيل: تكرر هذا المصطلح في ثلاثة وعشرين موضعاً، والتفضيل عند القاضي الجرجاني جاء بمعنى التميز بين آمرين، وهذا بتقديم أحدهما عن الأخر لمزية في المقدم جعلته ينال التفضيل، يقول: « ولست أقول هذا غَضًّا

من أبي تمام، ولا تهجيناً لشعره، ولا عصبية عليه لغيره، فكيف وأنا أدين بتفضيله وتقديمه، وانتحل موالاته وتعظيمه» [34].

2-التفاضل: ورد هذا المصطلح خمس مرات في خمسة مواضع في الوساطة، وقصد القاضي بالتفاضل التمايز والتفاوت في المراتب، هذا ما يستفاد من قول القاضي:«التفاضل-أطال الله بقاءك- داعيةُ التنافس؛ والتنافسُ سببُ التحاسد» [35].

3-الفضائل: ورد هذا المصطلح ثلاث عشرة مرة في الوساطة(مفرداً وجمعاً)، والفضائل جمع فضيلة وعنى به القاضي المحاسن والمناقب وضدها المعايب، يقول: « فهو يجتهد في إخفاء فضائله وإظهار مَعايبه وتتبع سقاطتهِ، وإذاعة غَفلاته»[36].

4-الأفاضل: ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، والأفاضل هم أصحاب المراتب العليا بين الشعراء ممن يعتد بشعرهم، يقول القاضي: « وقصرت به الهمةُ عن انتقاله؛ فلجأ إلى حسد الأفاضل، واستغاث بانتقاص الأماثل؛ يرى أن أبلغ الأمور في جبر نقيصته، وستر ما كشفه العجزُ عن عورته اجتذابُهم إلى مُشاركته، ووسمُهم بمثل سِمَتِه»[37] ـ

5-الفضل: تكرر هذا المصطلح في ستة وعشرين موضعاً، وقد حمل معنى المزية أو المكانة الرفيعة، كما في قوله: « فإذا انصفت أبا دهبل عرفت فضله» [38].

رابعا: ولأن القاضي في الجزء الأخير أمعن وتوسع في كلامه عن الكثير من المسائل المتعلقة باللغة، وجدت هذه المصطلحات مكاناً لها في كتاب الوساطة وحازت على نسبة مهمة من مجموع المصطلحات، فنجد من هذه المصطلحات(الحذف والفساد واللحن والإحالة والغلط والأصل...) التي تكررت في مجموعها مع ما تبعها من مشتقات(138مرة) بما نسبته 8،4٪.

أ-مصطلح الحذف:

1- **الحذف:** ورد هذا المصطلح واحدا وثلاثين مرة في الوساطة، **و**الحذف عند القاضي الجرجاني جاء بمعنى الاستغناء عما لا فائدة من ذكره؛ تفادياً للحشو الذي لا طائل منه، يقول معلقاً على بيتين أحدهما لامرئ القيس والأخر

لعَدِي بن الرفاع: « وقد تخلل كل واحد منهما من حشو الكلام ما لو حُذف لاستغنِي عنه وما لا فائِدة في ذكره» [39].

ب-مصطلح الفساد (الفاسد):

1-**الفساد:** ورد هذا المصطلح ثلاث عشرة مرة في الوساطة، والفساد عند القاضي الجرجاني يكون في الرواية والمعنى، يقول القاضي:« وفي العصر الذي فسد فيه اللسان، واختلطت اللغة وحُظِر الاحتجاجُ بالشعر، وانقضى من جعله الرواة ساقة الشعراء» [40].

2-الفاسد: ورد هذا المصطلح خمسة مرات في الوساطة(مذكراً ومؤنثاً) «فإذا كان هذا الشعر عندهم اليوم، وهذه عدة من يغرض منهم وينظم، واللغة فاسدة، واللسان مدخول والأمر مُدبر، وأكثر العرب مستعجم» [41].

ج-مصطلح اللحن: ورد هذا المصطلح تسع مرات في الوساطة، ومعناه عند القاضي هو الغلط نتيجة الخطأ في إعراب اللفظ وما يسببه من فساد في المعنى وخروج الكلام عن الاستعمال الصحيح في العربية، وقد مثل للحن في شعر أبي نواس بأمثلة كثيرة فقال: « فإن طَلَب اللحنَ والغلط أُخذ عليه» [42]؛ مثل قوله:

وضَيْف كأس محدثهْ ملك تِيهُ مُغَنّ وظَرْفُ زِنْديقِ

يعلق القاضي عن البيت بقوله:« فسكن الهاء، وقوله: يا ربَّيَ الجبار(فرفع)الجبار» [43].

د- مصطلح الإحالة(المحال):

1- **الإحالة:** ورد هذا المصطلح أربع عشرة مرة، وجاء فيها بمعنيين:

أ-قصد بالإحالة ذكر الشاعر لمعنى يستحيل أن يحصل، يقول القاضي في تعليقه عن الإحالة عند أبي نواس: « ووجد له في الإحالة قوله:

وأَخَفْتَ أَهْلَ الشّركِ حتى إنَّه لَتَخَافُكَ النُّطَفُ التِ لم تُخْلَقِ » [44]

فالمعنى المستفاد من هذا البيت يستحيل وقوعه، ولهذا اعتبره القاضي من الإحالة في شعر أبي نواس.

ب- كما حملت الإحالة معنى العدول بالكلام عن وجهه، في تعليقه على قول أبي تمام:

يَدِي لمن شاء رَهْنٌ لم يذُق جرْعاً مِنْ راحتيك دَرَي ما الصَّابُ والعَسَل

فيقول: « فحذف عمدة الكلام، وأخلّ بالنظم؛ وإنما أراد يدي لمن شاء رهن(إن كَان) لم يذق. فحذف(إن كان) من الكلام، فأفسد الترتيب، وأحال الكلام عن وجهه» [45].

2- **المحال**: ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وجاء بالمعنى الأول للإحالة في تعليقه عن قول أبي نواس، الذي ذكرناه سابقاً، فيقول:« فهو من المحال الفاسد... » [46].

ه-**مصطلح الغلط**: تكرر هذا المصطلح اثنتي عشر مرة في الوساطة، ومعناه عند الجرجاني هو الزلات والهفوات وما ينتج عنها من أخطاء يقع فيها الشعراء في معاني أشعارهم وألفاظها، فيقول: « ولم نَسِمْ به إذا أردنا حقيقة أحداً، وأي عالم سمعت به ولم يزلّ ويغلط! أو شاعر انتهى إليك ذكره لم يَهْفُ ولم يسقط!» [47].

خامسا: **مصطلح الأوائل (أولى-التأويل)**:

وكان لمصطلح الأوائل وما تبعه من مشتقات حضور في كتاب القاضي نظراً لاعتماده الكبير على ما قاله أسلافه، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على سعة اطلاعه على ما خلفه سابقوه، فقد تكرر هذا المصطلح مع ما تبعه من مشتقات (74 مرة) أي ما نسبته4،5٪ من المصطلحات المحصاة.

1-الأوائل: ورد هذا المصطلح سبع مرات في الوساطة، وجاء فيها بمعنيين:

أ- الأوائل جمع أول، جاء بمعنى السابق في الزمن سواء كان جاهليا أو إسلاميا، يقول: « فأما الإفراط فمذهب عام في المحدثين، وموجود كثيرا في الأوائل» [48].

ب- جاء مرة واحدة بمعنى بداية أمر ما، يقول:« وكثيراً منكم لا يعرف من السرق إلا[...] فإن تجاوزه حصل على ظاهره، ووقف على أوائله » [49].

2- أولى: تكرر هذا المصطلح إحدى عشر مرة في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، والأولى عند القاضي هـو الأحق بالأمـر يقول: « حتى عثر بـها من يعرف حقها، واهتدى إليها من هـو أولى بها» [50].

3-التأويل: ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة ومعناه عند القاضي هو تبين المراد من اللفظ المحتمل لأكثر من وجه، ومثل له باختلاف خصوم المتنبي حول المراد من قوله:

ما بقَومي شَرُفْتُ بل شَرفُوا بي وبنَفْسي فَخَرْتُ لَا بجُدُودي

يعلق القاضي بقوله: « فختم القول بأن لا شرف له بآبائه. وهذا هجو صريح، وقد رأيت من يعتذر به، فيزعم أنه أراد: ما شرفت فقط بآبائي، أي لي مفاخر غير الأبوة، وفي مناقب سوى الحسب، وباب التأويل واسع، والمقاصد مغيبة، وإنما يستشهد بالظاهر، ويتبع موقع اللفظ » [51].

سادسا: والكثير من الدارسين يعتبرون كتاب الوساطة تمهيداً للفصل بين المصطلحات النقدية والبلاغية، ويتضح هذا من خلال المصطلحات البلاغية الخالصة التي أوردها القاضي و فصّل في الكلام عنها- وإن كان في توظيفها تراوح بين النقد والبلاغة- متطرقاً إلى أقسامها وعلاقاتها وأدواتها، و ذكر القاضي تحديداً (الاستعارة، التجنيس، المطابقة،التشبيه،المبالغة...) وقد وجدنا أن مصطلح التشبيه وما تبعه أكثر هذه المصطلحات تكراراً (83مرة) ما نسبته 07،5٪من مجموع المصطلحات المحصاة، بينما هذه المصطلحات مجتمعة تكررت في مجموع مرات ورودها(152مرة) ما نسبته28،9٪.

أ- مصطلح الاستعارة(المستعار-المستعار منه-المستعار له):

الاستعارة: تكرر هذا المصطلح في تسعة وعشرين موضعاً من الوساطة والاستعارة عند القاضي الجرجاني ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، يقول: « وإنما الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكُها تقريب الشَّبه، ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاجُ اللفظ بالمعنى، حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر» [52].

المستعار: ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة، والمستعار هو اللفظ المنقول في الاستعارة، كما في قول أبي تمام:

وَيَضْحَكُ الدهر منهم عن غَطَارِفَةٍ كأن أيامَهم من حُسْنِها جُمعُ

المستعار هو الضحك، كما نجد هذا المصطلح في تعليق القاضي عن أبيات لأبي تمام: « فلم يخلُ بيت منها من معنى بديع وصنعة لطيفة، طابق وجانس، واستعار فأحسن، وهي معدودة في المختار من غزله » [53].

المستعار منه: ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وقصد القاضي بالمستعار منه اللفظ الذي تستعار منه صفة من الصفات، وهو ما يقابل المشبه به في التشبيه.

المستعار له: ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وقصد القاضي بالمستعار له اللفظ الذي يستعار له المعنى، وهو ما يقابل المشبه في التشبيه.

ب-مصطلح التجنيس وأنواعه:

التجنيس: ورد هذا المصطلح ست عشرة مرة في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، وقد قسمه القاضي إلى العديد من الأنواع، فاختلاف معناه أو مفهومه باختلاف هذه الأنواع وهي:

1-التجنيس المطلق: ويقصد به اختلاف حروف الكلمتين مع اتفاقهما على أصل واحد يجمعهما الاشتقاق [54] يقول القاضي الجرجاني: «فأما التجنيس، فقد يكون منه المطلق وهو أشهر أوصافه»[55]،ويمثل لتجنيس المطلق بقول النابغة:

وأقطع الخرق بالخرقاء قد جعلت بعد الكلالِ تشكي الأيَن والسأمَا[56]

وهذا يتصل بالاشتقاق فـ(خرق) و(خرقاء) يجمعهما أصل واحد.

2-التجنيس المستوفى: التجنيس المستوفي ويقال له التام والكامل، وهو أن تكون كل الكلمة مستوفاة في الأخرى يقول القاضي الجرجاني: « وقد يكون منه التجنيس المستوفى، كقول أبي تمام :

ما مات من كرم الزمان فإنه بحيا لدى يحيى بن عبد الله

فجانس بين بحيا ويحيى، وحروف كل منهما مستوفاة في الأخرى، وعد هذا من التجنيس لاختلاف المعنيين لان احدهما فعل ولآخر اسم ولو اتفق المعنيان لم يعد تجنيسا بل لفظة مكررة» [57].

3-**التجنيس الناقص:** خلاف التام أو المستوفي، وذلك أن يكون نقص في إحدى الكلمتين، يقول القاضي: « ومنه التجنيس الناقص، كقول الاخنش ابن شهاب :

وحامي لواء قد قتلنا وحاملٍ لواءُ منعنا والسيوفُ شوارعُ.

فجانس (بحامي وحامل) والحروف الأصلية في كل واحد منهما تنقص عن الأخرى» [58].

4-التجنيس المضاف: التجنيس المضاف ورد في قوله: « ومنه التجنيس المضاف» [59]، ومثل له بقول البحتري:

أيا قمر التمام أعَنْت ظُلما علي تطاول الليلَ التمام[60]

ثم يعلق على البيت بقوله: «ومعنى التمام واحد في الأمرين، ولو انفرد لم يعد تجنيساً، ولكن احدهما صار موصولاً بالقمر والآخر بالليل، فكانا كالمختلفين» [61].

ت- **مصطلح المطابقة(المطابق-طبق):**

1-**المطابقة:** ورد هذا المصطلح ثماني مرات في الوساطة، ومعنى المطابقة عند القاضي الجرجاني هو المقابلة بين الشيء وضده في الكلام، وقد لمح إلى صعوبة استخلاصها من الكلام لغموضها وخفائها، لتداخلها مع أنواع أخرى من المجاز، مما يستلزم النظر الثاقب والذهن المتمرس، فيقول: «و أما المطابقة فلها شُعَبُ خفية، وفيها مكامن تغمض، وربما التبست بها أشياء لا تتميز إلا للنظرِ الثاقب، والذهن اللطيف؛ ولاستقصائها موضع هو أملك به» [62].

2-المطابق: ورد هذا المصطلح مرة واحدة في كتاب الوساطة، وقصد القاضي بالمطابق المطابقة؛ يقول عن صعوبة تميز المطابقة: « وقد يخلط من يقصر علمه ويسوء تميزه بالمطابق ما ليس منه» [63].

3-طبق: ورد هذا المصطلح مرة واحدة، وطبَّق عكس المطابقة، أي جاء بمعنى الاتفاق في قول القاضي: « ولو اتفق له أن يقول: حمرة في جوانبها بياض، لكان قد طبَّق المفصل، وأصاب الغرض، ووافق شبه الخجل»[64].

ث-مصطلح التشبيه(المشابهة-الشبهة والاشتباه):

1-التشبيه: ورد هذا المصطلح اثنتين وستين مرة في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، وبصيغ مختلفة (شبه-أشبه-شبيه-المتشابهين)، والتشبيه عند القاضي الجرجاني في مفهومه لا يختلف على أسلافه من النقاد واللغويين، فهو اتفاق شيئين في صفة أو أكثر، فيعلق على بيتٍ للمسَيّب بن عَلَس جاء فيه:

وَكأَنَّ غَارِبَها رُباوة مَخْرَمٍ وتَمُدُّ ثِنِي جَدِيلها بِشَراع

فيقول: « أراد تشبيه العُنق بدَّقل فغلط» [65]، ويشير أيضاً إلى ما يتداول من التشبيهات فيقول: « وما تزال العامة والخاصة، تشبه الورد بالخدود، والخدود بالورد، نظماً ونثراً» [66]، فالورد والخدود يتشابهان في صفة الاحمرار.

2-المشابهة: ورد هذا المصطلح مرتين في كتـــاب الوساطـــة، وجـــاء بمعنى المماثلة، كما في قـــوله: "وكلُّ هذه الألفاظ مقبولة غيرُ مستكرهة، وقريبةُ

المشاكلة ظاهرةُ المشابهة»[67]وقوله:«وألا يكون همك في تتبع الأبيات المتشابهة، والمعاني المتناسخة» [68].

3-الشبهة والاشتباه: تكرر هذا المصطلح خمس مرات، كان فيها بمعنى الالتباس الذي يحدث نتيجةً لعدم القدرة على التميز بين أمرين لتشابه بينهما، يقول: « ولكل صناعة أهل يرجع إليهم في خصائصها، ويستظهر بمعرفتهم عند اشتباه احوالها» [69]، وقوله: «لو قال: نفوسهم لأزال الشبهة، ودفع القالة» [70].

ومن خلال هذه الاستنتاجات استطعنا أن نرسم خارطة نتقصى من خلالها أهم المصادر والمؤثرات التي أسهمت في بناء هذا الهيكل المصطلحي المتزامي في صفحات الوساطة، والمتميز بتنوعه وغناه وعدم انحصاره في حقل معرفي أو توجه فكري بعينه بل كانت الشمولية والقبول للفكر الأخر هي السمة الغالبة عليه.

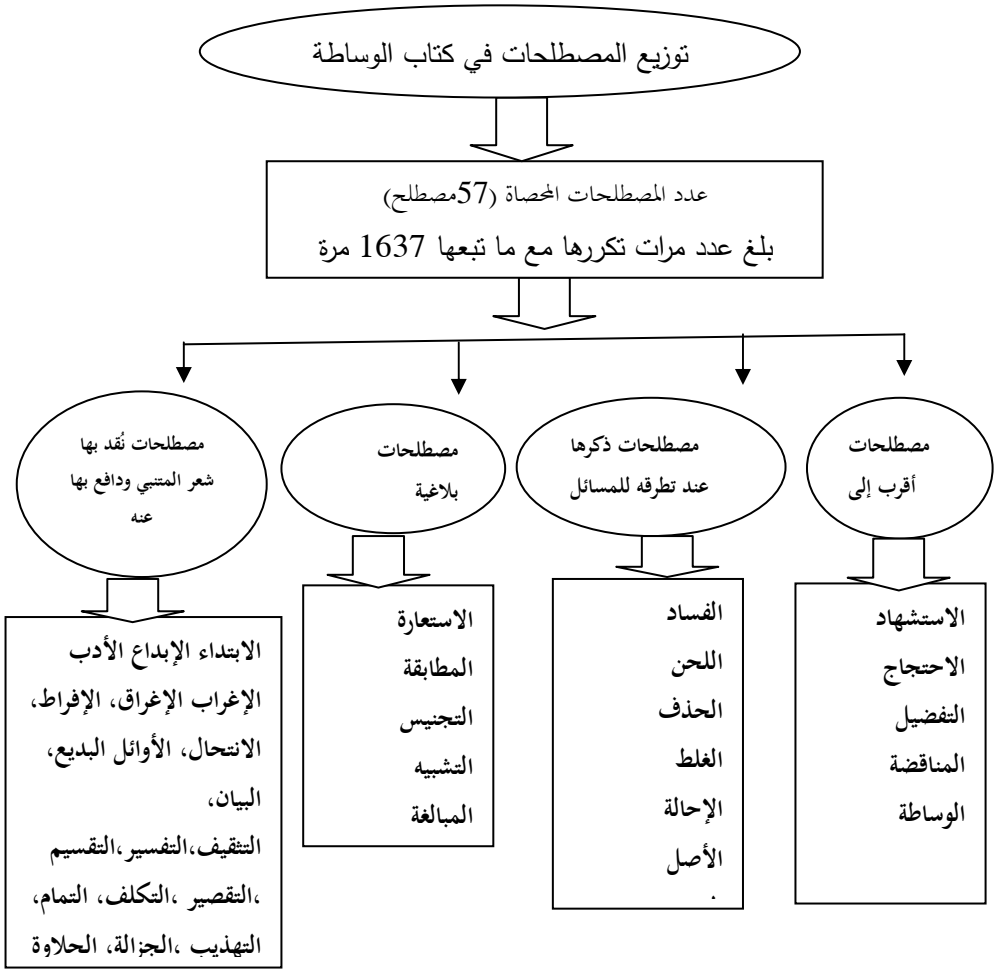
توزيع المصطلحات في كتاب الوساطة
عدد المصطلحات المحصاة (57مصطلح)
بلغ عدد مرات تكررها مع ما تبعها 1637 مرة
مصطلحات أقرب إلى
مصطلحات ذكرها عند تطرقه للمسائل
مصطلحات بلاغية
مصطلحات نُقد بها شعر المتنبي ودافع بها عنه
الاستشهاد
الاحتجاج
التفضيل
المناقضة
الوساطة
الفساد
اللحن
الحذف
الغلط
الإحالة
الأصل
.
الاستعارة
المطابقة
التجنيس
التشبيه
المبالغة
الابتداء الإبداع الأدب
الإغراب الإغراق، الإفراط،
الانتحال، الأوائل البديع،
البيان،
التثقيف،التفسير،التقسيم
،التقصير ،التكلف، التمام،
التهذيب ،الجزالة، الحلاوة

الإحالات

1) ينظر: القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، عبده قلقيلة، الهيأة المصرية العامة للكتاب، مصر (د.ط) 1973م ص378
2) الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ط1، 2006م .
3) المصدر نفسه، ص37
4) المصدر نفسه، ص158
5) المصدر نفسه، ص140
6) المصدر نفسه، ص233
7) المصدر نفسه، ص187
8) المصدر نفسه، ص83
9) المصدر نفسه، ص253
10) ديوان البحتري، بخط علي بن عبيد الله الشيرازي، مطبعة هنديه بالموسكي مصر،ط1، 1911م ص24
11) ديوان أبو تمام، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر،ط3، 2009م ج3ص291
12) الوساطة، ص280
13) المصدر نفسه، ص220
14) المصدر نفسه، ص185
15) المصدر نفسه، ص157
16) المصدر نفسه، ص185
17) المصدر نفسه، ص182
18) المصدر نفسه، ص185
19) المصدر نفسه، ص325
20) ديوان ابن الرومي،شرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت،ط2، 2002م ج1ص373
21) الوساطة، ص161
22) المصدر نفسه، ص24، وينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه: حمدو طماس، دار المعارف، بيروت،ط2005،2م
23) المصدر نفسه، ص277
24) المصدر نفسه، ص179

25) المصدر نفسه، ص212
26) المصدر نفسه، ص161
27) المصدر نفسه، ص340
28) المصدر نفسه، ص340
29) المصدر نفسه، ص14
30) المصدر نفسه،91
31) المصدر نفسه، ص366
32) المصدر نفسه،ص370
33) المصدر نفسه، ص341
34) المصدر نفسه، ص26
35) المصدر نفسه ، ص11
36) المصدر نفسه، ص12
37) المصدر نفسه، ص11
38) المصدر نفسه ، ص166
39) المصدر نفسه ، ص36
40) المصدر نفسه ، ص24
41) المصدر نفسه، ص142
42) المصدر نفسه، ص61
43) المصدر نفسه، ص61
44) المصدر نفسه، ص61
45) المصدر نفسه، ص75
46) المصدر نفسه، ص354
47) المصدر نفسه ، ص 13
48) المصدر نفسه ، ص348
49) المصدر نفسه ، ص161
50) ديوان النابغة الذبياني، شرحه حمدو طماس، دار المعارف، لبنان،ط2005،2م ص103
51) الوساطة، ص11
52) المصدر نفسه، ص312
53) ديوان البحتري، ج2ص246

54) المصدر نفسه، ص45
55) المصدر نفسه، ص37
56) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2ص96
57) الوساطة، ص45
58) المصدر نفسه، ص46
59) المصدر نفسه، ص47
60) المصدر نفسه، ص47
61) المصدر نفسه ، ص47
62) المصدر نفسه، ص47-48
63) المصدر نفسه، ص48
64) المصدر نفسه، ص164
65) المصدر نفسه، ص20
66) المصدر نفسه، ص164
67) المصدر نفسه، ص358
68) المصدر نفسه، ص175
69) المصدر نفسه، ص92
70) المصدر نفسه، ص372